

اي انه اعتبر امالة النساء وزيادة الالف .
وكل ذلك فعل الجوهرى اذ وضعه فى مادة
« تمر » .

قال الفيروزابادى : « وزنه تعمول نموذج
ذكره امر لا كما توهם الجوهرى (147) ».
ن - قال الفارابى : « الصimirية سمة في عنق
البعير (148) » .

وقال الجوهرى « الصimirية سمة في عنق
البعير » (149) .

قال الفيروزابادى : هي سمة في عنق الناتنة لا
البعير (150) .

س - قال الفارابى : الخيال ارض لبني بطلب
وقال :

لمن طلل تضمنه امثال
سفرحة فالمرانة فالخيال (151)

وقال الجوهرى : الخيال ارض لبني بطلب ،
قال الشاعر :

لمن طلل تضمنه امثال
سفرحة فالمرانة فالخيال (152)

قال الفيروزابادى : وما اسم الموضع
بالشين والجيم (شرجة) .

وغلط الجوهرى .. والخيال تصحيف وانما هو
الخيال لجبال الرمل ... (153)

وقال الجوهرى : « ويقال للجلدة التي بين
العين والانف سالم (136) ».
قال الصاغانى : « وهذا غلط . وقد تبع خاله
الفارابى فيأخذ اللغة عن معنى
الشعر » (137) .

ي - قال الفارابى : « غضبى مائة من الابل وهي
معونة لا تخليها الالف واللام » (138) .

وقال الجوهرى : وغضبى مائة من الابل
وهي معونة لا تكون ولا تخليها الالف
واللام (139) .

وقال الفيروزابادى : « قول الجوهرى
تصحيف والصواب غضبا بالثناة تحت » .

ك - قال الفارابى : المزج : الشهد (140)

وقال الجوهرى : المزج : السل (141) .

قال الفيروزابادى : وغلط الجوهرى في
فتحه (142) .

ل - قال الفارابى في كتاب المموز : « اخذه
ضررت ياقوخه » (143) .

وقال الجوهرى في باب الخاء فصل الميمزة :
« اخذه ضررت ياقوخه » (144) .

قال الفيروزابادى : وغلط الجوهرى في ذكره في
المموز لأن الأصل يفتح (145) .

م - ذكر الفارابى « التلمور » بمعنى الدم في بناء
« نامول » من السالم (146) .

136/22/6 . ويعنى بذلك قول الشاعر :
يدبرونتى عن سليم واريقه
وجلدة بين العين والانف سالم

(137) سالم

(138) و 102

(139) غضب .

(140) 11

(141) مادة مزج .

(142) مادة مزج .

(143) 394 و .

- (144) مادة ائنخ .
- (145) مادة ائنخ .
- (146) و 77 .
- (147) مادة امر .
- (148) و 19 .
- (149) مادة صمر .
- (150) مادة صمر .
- (151) و 326 .
- (152) مادة خيل .
- (153) مادة سرج .

١ - اول ما يتادر الى الذهن أن الجوهرى :
قد استمن بديوان الادب مباشرة في تليف مجده
الصحاب ، وأنه اخذ عنه كثيرا من مادته اللغوية ،
ما أدى الى هذا التشابه بل التماثل في بعض الأحيان .
ووهذا الاحتمال وان كان مقبولا إلا أنه يسلينا إلى
مشكلة لا يمكن حلها إلا بتجريح الجوهرى واتهامه
بالسطو والسرقة . نما دام الجوهرى قد استمن
بديوان الادب في جمع مادته اللغوية ، فلماذا خلا
الصحاب من اسم الفارابى ، ولم يرد ضمن هذا
الحدث الحاشد من العلماء الذين أخذ عنهم الجوهرى
ونكراهم في مصاححه ؟

ان الفارابى من نقلة اللغة الثقات الذين لم
يوجه اليهم الدارسون اي مطعن او تد تقبل العلماء
المتأخرون ، مجده « بديوان الادب » بالرضا والتبول ،
واعتقدوا عليه مباشرة في تحصيل مادتهم اللغوية (157)
والجوهرى في مصاححه ينقل عن اساتذته
المباشرين - من طبقة الفارابى - كابسى على
« الفارسي » ، وأبى سعيد السيرافى ، وهو وإن
كان لم ينقل عن الاول إلا بعض مسائل نحوية او
تصريفية ، فهو قد نقل عن الثاني (159) بعض
مسائل اللغة . فلماذا لم يذكر اسم خاله ؟

ع - قال الفارابى : ويقال بهته اذا قال عليه ما
لم ينفعه . وتلوا في قول ابي النجم لابنته حين
هداها لزوجها :

سبى الحماة وابتها ملبيها
ثم اصرى بالود مرتفيها
أن على متاحه مفناه وابتها لانه ليس من كلام
العرب بعثت عليه اني كلامهم بهته كما قلنا
اولا (154).

وقال الجوهرى : وتقول ايفا بهته بعها وبهنا
وبهنا فهو بهات اي قال عليه ما لم ينفعه فهو
مبهوت . واما قول ابي النجم :

سبى الحماة وابتها علبيها .

نان « على » متاحه لا يقال بهت عليه وانما
يتال بهته (155)

وقال السفيروزابadi : الصواب فاتهتى
عليها (156) .

ومعنى هذا ان الفارابى والجوهرى يشتركان
في كثير من الاشياء ، بل اتنا نجد احيانا ان
اللنظـ هو اللنظـ والشرح هو الشرح .
ويتبـعـ من هذا وجه الشبه الكبير في المـادةـ
الـلغـويـةـ بينـ الصـاحـحـ وـ بـ دـيـاـنـ الاـدـبـ . نـماـ
معـنـىـ هـذـاـ ؟ـ وـ مـاـ تـسـيـرـ ؟ـ

(154) و 148

(155) مادة بهت .

(156) مادة : بهت .

(157) من هؤلاء الذين صرحو بالنقل عنه : الشعابى في « نقه اللغة » والصالحى في « العباب » وفي
« التكلمة » والسيوطى في كتابه « المزمر » والقول المجمل في الرد على المهمل « والنبوى فى
« المصباح المنير » وابن مالك في « اكمال الاعلام بتثليث الكلام » وابن الطيب الفاسى في « اضـاءـةـ
الراموس » ، وغيرهم ... وغيرهم .

(158) كاعتبار « مـَدـَاءـ » ثـمـاءـ منـ المـضـاعـفـ ، وـ تـحلـيلـ مـحـةـ الـواـوـ فيـ « عـوـاـرـ »ـ معـ قـرـيـبـاـ منـ الـطـرفـ
بـاـنـ الـيـاءـ الـمـحـوـنـةـ لـلـفـرـرـورـةـ مـرـلـدـةـ ، نـهـىـ فـيـ حـكـمـ ماـ فـيـ الـلـنـظـ .ـ نـهـىـ بـعـدـ فـيـ الـحـكـمـ مـنـ الـطـرفـ لـمـ
تـقـلـ بـهـزةـ .ـ وـغـيـرـ ذـلـكـ .

(159) كقوله وعجين اتبجان اي مدرك منفتح - وهذا العرف في بعض الكتب بالخاء المعجمة وسماعى
بالجيم عن ابى سعيد وابى الفيث وغيرهما .
وقوله :

وكانت العرب تسمى يوم الاثنين « أهون » في اسمائهم القديمة . انشدنا ابو سعيد السيرافى ، قال
انشدنا ابن دريد لبعض شعراء الجاهلية :
اومل ان اعيش وان يومى
ام التالى تبار ام فيومى
وقوله :

وقد انتسى العظم اذا برئه من كستر كان به . هكذا اترانبه ابو سعيد في المصنف .

وأستاذه الفارابي ، فهو قد أخذ عنه نظام الباب والفصل كما سبق أن بينا ، ولا شك — بعد ذلك — في أن استقادته منه لا تقل عن استقادته من أبي على الفارمسي وأبي سعيد السيراني ، ولا شك أيضاً أن ملازمته له تتفوق ملزمه لهذين الاستاذين ، بل لا شك أن الفارابي هو صاحب الفضل الأول على الجوهرى وأنه هو الذي علمه ولقنه علوم اللغة وخلف له من بعده أثراً لغوياً ضخماً هو « ديوان الأدب » ، فمن أولى منه بالذكر ؟ ومن أحق غيره بالتلذذ ؟

ونحن ، بعد هذا ، لا نوافق كرunko في قوله : أنه ليس في الصحاح للجوهرى شيء إلا نجده في ديوان الأدب ، فالصحاح — حتى على أسوأ الفرضين بالنسبة للجوهرى — أوسع مادة وأكثر كما من « ديوان الأدب » ، وهو يحتوي على زيادات كثيرة لا بجدها في ديوان الأدب كما أثبتنا من قبل . وأفلاه لو عكس القضية وتال : « ليس في ديوان الأدب شيء إلا نجده في الصحاح » لكان يقرب إلى المسواد وأدلى إلى الحقيقة ، وإن كان هذا الحكم كذلك ليس على عمومه ولا يصدق على اطلاته ، فهناك أشياء في ديوان الأدب ليست في الصحاح كما ثبنا سابقاً .

والخلاصة أن الصحاح متاثر بديوان الأدب في نظمه وفـ مـادـتـه اللـغـوـيـةـ ، وـاـنـهـ اـسـتـقـادـ مـنـهـ كـثـيرـاـ — مـباـشـرـةـ اوـ بـالـواـسـطـةـ — وـاـنـ اـشـتـملـ عـلـىـ زيـادـاتـ كـثـيرـةـ لـيـسـ فـيـ نـيـهـ .

وقد أحسن بهذه الاستقادـةـ الصـاغـاتـىـ منـ قـبـلـ فـنبـهـ فـيـ اـكـثـرـ مـوـضـعـ مـنـ كـتـابـهـ «ـ التـكـلـةـ »ـ عـلـىـ ذـلـكـ .ـ كـمـ اـدـرـكـهـ الـفـيـوـسـ مـاشـارـ إـلـيـهـ اـكـثـرـ مـرـةـ فـيـ مـعـجمـهـ «ـ الـصـاحـاحـ الـمـنـيرـ »ـ (160)

(ينتفع)

لا تعليل لذلك على هذا الفرض الا مسوء نية الجوهرى ومحاولة تضليله للباحثين وتحصله من التبعية لحاله وتعنيته على آثارها . وما أشبه صنيع الجوهرى مع حاله الفارابي حينـذـ بما يفعله بعض الباحثين الآن حين يقع على كتاب مهم في موضوعه — سواء في لفته أو في لفـةـ آخـرـىـ — نـيـقـتـرـفـ مـنـ مـعـيـنـهـ وـيـنـهـلـ مـورـدـهـ ثـمـ يـقـنـلـ ذـكـرـ اـسـمـهـ فـيـ الـمـرـاجـعـ — مـعـ حـرـمـهـ عـلـىـ ذـكـرـ التـائـهـ بـنـهـ — حتـىـ لـاـ يـكـشـفـ أـمـرـهـ ،ـ اوـ يـقـنـعـ سـرـهـ ؟

2 - أما الفرض الثاني فهو أن الجوهرى لم يأخذ من ديوان الأدب مباشرة ، وإنما أخذ عن أصوله ومراجعه الأولى . فهو قد تلقى اللغة من الفارابي ، وجلس منه مجلس التلميذ ، ومن الطبيعي أن يكون بجانبه وهو يولف ويكتب ، ومن الطبيعي أيضاً أن يطلع على مراجعه وأصوله ، ومن الطبيعي كذلك أن يعينه في بحثه ويساعده في لم مادته وجع شاردها وردها إلى أصولها . أي أن الجوهرى كان حاضراً أوقات جمع الكتاب وأخراجه ، وكان كل شيء يتسم تحت سمـعـهـ وبـصـرـهـ ، وعلى بيـنـةـ منهـ . وهو بعد ذلك قد كتب نسخة من « ديوان الأدب » بخطه وقرأها على مؤلفـهاـ ، وتدارـسـهاـ معـهـ ، ونـاقـشـهـ فـيـهاـ مـحـيـنـهاـ يـشـرـعـ الجوـهـريـ فـيـ تـالـيـفـ مـعـجمـ لـنـفـسـهـ لـاـ يـعـجزـ أـنـ يـجـمـعـ الـمـرـاجـعـ الـتـيـ أـخـذـ عـنـهاـ خـالـهـ ،ـ وـاـنـ تـمـوزـهـ الـأـصـولـ ،ـ وـقـدـ رـأـىـ كـثـيرـاـ مـنـهـ بـيـنـ يـدـهـ ،ـ وـتـلـبـ فـيـهاـ وـقـرـأـ بـعـضـهاـ عـلـىـ أـسـانـثـهـ .

ولكن هذا لا يخلو الجوهرى من الظنـةـ ولا يدفع منه التهمـةـ ،ـ نـقـدـ كـلـ عـلـيـهـ — سواء أـخـذـ مـادـتـهـ مـنـ دـيـوـانـ الـأـدـبـ مـباـشـرـةـ أـوـ بـالـواـسـطـةـ —ـ أـنـ يـنـكـرـ خـالـهـ

(160) انظر مثلاً مادة سدد ، وشوش .

الوقف على المختوم بالباء وطبيعة ذلك الوقف

الدكتور أحمد كشك

مدرس بدار العلوم - القاهرة

بين هذه التاء والباء التي هي من نفس الحرف نحو تاء سببنة وباء عنبريت وكذلك التاء في بنتٌ .. وباء الجميع اقرب إلى التاء التي هي بمنزلة ما هو نفس الحرف من تاء طلحة لأن تاء طلحة كانها متنصلة وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون في الوقف طلحتْ كما قالوا في تاء الجميع قولًا واحدًا في الوقف والوصل » (١) « ويقول ابن يعيش : « متى كان آخر الاسم تاء التائيث من نحو طلحة وحمزة وقائمة وقاعدة كان الوقف عليه بالباء .. وذلك في الرفع والنصب والجر والذي يدل أن الباء بدل من التاء أنها تعتبر تاء في الوصل، والوصل مما ترجع فيه الأشياء إلى أصولها والوقف من مواضع التغير ... على أن من العرب من يجري الوقف مجرى الوصل ، فيتulos في الوقف هذا طلحت وهي لغة ناشبة حكاماً أبو الخطاب » (٢) .

من قضايا اللغة :

درج اللغويون في حديثهم عن الوقف على المختوم بالباء أن يقولوا بأن الوقف له علامة خاصة هي تحويل هذه التاء إلى هاء تسمى هاء التائيث . فيما نسبب هذا القول من الصحة ؟

قبل أن نصدر رأينا في هذه المسالة نعرض بعض حديث لدارسي العربية حتى يتضمن لنا بعد ذلك أن نبرز رأينا في صورة واضحة وحتى يعلم أئتنا لم نهمل مكررهم تماماً ولم نحور آراءهم تعسفاً إلى نكرة نحاول إثباتها . فيما هي نظرة اللغويين إلى هذه التاء عند الوقف ؟ بعبارة أخرى ما هي طبيعة الوقف على المختوم بالباء عندهم ؟

يتقول سيبويه في ذلك : « فعلامة التائيث اذا وصلت التاء واذا وقفت الحقت الهاء وارادوا ان ينفرقو

1) الكتاب ج 2 ص 281 . وللمبرد نص قريب من ذلك في المتنبيب ج 1 ص 63 .

2) شرح المنفصل ج 9 ص 81 . ولابن جني نص قريب من ذلك في سر صناعة الاعراب ج 1 ص 176 .

اذا كلن اسما مفردا او جمع تكسير رئعا ونصب وجرا .

— ان هناك شرطا لذلك هو الا تكون التاء مسبوقة بساكن مثل بنت وأخت .

— ان عدم املاق البدل على النعل والحرف مرجمه أمن اللبس .

— ان هذا اللبس يجب ان يعم ؟ لأن امكان وجوده محتمل في الصورة الاساسية « ضاربه » .

— ان الوقف بالهاء يكون بالاسكان ولا روم ولا اشيم .

— ان جمع تصحيح المؤنث وما شابهه يمكن ان يوتف عليه بالهاء وذلك قليل خاص ببعض العرب .

— ان الاسم المفرد المختوم بالباء يمكن ان يوتف عليه بالباء على تلة وذلك مثل : هذا ظلحت على لغة .

وهذا لا ينسى عريتها غابن جني يقول :

« وتال ليس عندنا عربيت من دخل ظفار حمر اي تكلم بكلام حمير فاذأ كان كذلك جاز جوازا قريبا كثيرا ان يدخل من هذه اللغة في لفتنا وان لم يكن لها نصاحتنا غير انها لغة عربية تدببة » (6) .

يتبيّن من ذلك ان الوقف على الاسم المختوم بالباء كما يرى دارسو العربية يكون بالهاء وهذه الهاء تنتهي عندهم بهاء التائيث وانها مبدلة عن تاء التائيث حين الوقف . نهل تصور ابدلها من تاء التائيث يتحقق والصواب ؟ لدى احساس بان هذه الهاء ليست الا هاء سكت جيء بها لاغلاق المقطع في حالة الوقف وفي احوال بعض اللغويين حولها ما يعطي ايجاء بذلك وان لم يكن نما في التعبير . يقول الصبان في حاشيته حول المراد بهاء التائيث ان تسميتها هاء مجاز باعتبار حالة الوقف التي هي فيه ساكنة (7) . وفي قوله مجاز دليل على ان التسمية

يوضع هذان الفصان عدة أمور ، منها : ان الوقت على تاء التائيث بالباء خاص بالاسم المفرد والصلة ، ويبدو ذلك من الامثلة التي وردت في النصين . ومنها ان الوقت شامل لجميع الحالات الاعرباوية . ومنها : ان بعض العرب يتف بالباء دون تحويلها الى هاء مسميا ذلك اجراء للوقت مجرى الوصل .

والاشموني يقول بمثل ذلك . ويضيف الصبان في حاشيته تعليلا يبرر به التزام التاء في النعل والحرف وعدم تحويلها الى هاء وهو خشية الالتباس حين تحول ضريث الى ضريه ورتبت الى ريه لتختلط هذه الهاء حينذهبها الغير (3) . ويضيف الصبان احتراما آخر خاما بالاسم وهو الا يكون الوقف بالهاء موقعها في لبيان ترفضه اللغة .

ويرى الاشموني في الوقف على جمع المؤنث السالم وما شاهدهم يريد بذلك هيمات واولات — ان من الانضل الوقف بالباء وأن سمع ابدلها هاء في قول بعضهم « دفن البناء من المكرمة ... وكيف بالاخوة والاخوات وسمع هيبة وأولة . لكنه يطلق على ذلك بأنه من لغة طيء وقد وسمه صاحب الامصال بأنه شاذ لا يتناسب عليه » (4) .

ويرى صاحب التشر ان الاسم المؤنث بالباء يوتف عليه بالهاء ويرى ان هذه الهاء بدل من تاء التائيث . وان الوقف عليها يكون بالسكون . ولا يجوز فيه روم ولا اشيم . وفي امالة هذه الهاء المبدلة يقول ان بعض العرب امثالها كما أمال الآلف فتد تيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التائيث فتقال هذا طباع العربية (5) .

تلك احاديث للغوبي العربية وعلماء القراءات تستطبع ان نخرج منها بالافكار التالية :

— ان الوقف على المختوم بالباء يكون بالهاء

(3) حاشية الصبان على شرح الاشموني ج 4 من 213 . واللبس المحتمل في ضاربه ينفيه اعتبار السياق .

(4) السابق ج 4 من 213 - 214 .

(5) التشر في القراءات العشر ج 2 من 79 .

(6) الخامس ج 2 من 28 .

(7) حاشية الصبان ج 4 من 209-210 .

ان تستطع النساء عند الوقف في مرحلة أولى نحو: ناقه : ناق . ثم ان تظهر بعد الحركة النهائية هاء ثانية شبيهة بهاء السكت ... نحو : ناق : ناقه⁽⁹⁾ . ويعلق كاتبنا على ذلك بقوله وهو تفسير تحمل صحته . بروكلمان يكاد يقرر ما قلناه عن الهاء من امكان اعتبارها من قبل السكت وقد أوضح لنا ذلك من خلال رؤيته السابقة . وربما سوغ ما نراه ايضا من الوقف على النساء الاخرى لدى البعض في تابوت — تابوة ، البنات — البناء ، رب — ربة ، ثمة ، لات — لاة ، هبات — هباء . كين نسمى هذه الهاءات ؟ من الممكن اعتبارها هاءات تائيت بالمعنى الذي نراه في ناطمة وحمة !

ان الرأي الذي اكاد أحشه ان الوقف على النساء انما يكون بعد استطاعتها باستراحة تتطلب في وجود هاء ساكنة تشبه هاء السكت . وتدفع دفع تو لنا ان هذه الهاء ترجع ناء في الوصل وأن الوصل مما ترد فيه الاشياء الى اصولها . ورددنا على ذلك ان كل الاشياء مع الوقف ترجع لأصولها حين الوصل . نهل تعتبر كل ظاهرة في كل وقف بديلا من الوصل ؟

اننا نرفض فكرة البديل لأن الوقف حالة تختلف طبيعتها عن حالة الوصل حيث لا تقارب بينهما واما مسألة الوقف بالناء الساكنة لدى البعض فيما يسمى بإجراء الوقف بجري الوصل فلا نقرها ، لأن النساء هنا ليست كالناء هناك فالوصل ، علامته التحرير والوقف علامته الصمت او السكت ونحن لا نجد في تو لنا طلحت في الوقف الا صمتا او سكونا لا يتنسق وطبيعة الوصل . فالوقف ما جاء الا عن طريق ناء ليست تائيت بل لطلق متقطع عند الوقف ومن هنا نرى ان الهاء او النساء التي لحقت الاسماء عند الوقف لا وشيبة بينها وبين ما يسمى بناء التائيت ، حيث اعتبارها هاء تائيت او ناء تائيت امر يجانب الصواب .

بهاء التائيت من قبيل التجوز . ولعل ما دفعهم الى ذلك حيرتهم أمام الموجود فقد كانت هناك ناء حالة لوصول فاذا بها ناء في الوقت ، ولا يتم ارادوا خلق صلة ما بين الحالتين الوصل والوقف سموا هاء التائيت وقلوا بادالها : لكننا ندرك ان التسول بجازية الهاء يوحى بان الصلة واهية بين هذه الهاء والتأييت الذي ذهب به مطلب الوقف . وابن الجزري يقول : « اختلفوا في هاء التائيت هل هي مسالة مع ما قبلها او ان الماء هو ما قبلها وانها نفسها ليست مسالة .. ويقول : هاء السكت نحو كتبية وحسابية وما اليه لا تدخلها الإمسالة لأن من ضرورة إمانتها كسر ما قبلها وهي انما انسى بها بيانا لفتحة قبلها من إمانتها مخالفة للحكمة التي من أجلها اجتنبت . وتدفعهم من قوله أن هناك فرقا بين الهايمين من جهة الإمسالة وعدمها وهذا لا ينافي تو لنا اذ الهاء واحدة ولا يرجع الاختلاف الى الهاء نفسها ، ولكن الى الحرف الذي قبلها ، ذلك انهم اختلفوا في هائنا هل هي مسالة مع ما قبلها او ليست مسالة والمال هو ما قبلها . نشرط الامالة ليس دليلا على اختلافهما . والذي يجعلنا نرى انها في واحد ان الروم والإشمام لا يدخلانهما اذ لو أن الهاء كانت بدلا من النساء كما رأى اللغويون ل كانت حرفها صحيحا يمكن له ان يشم ويرام فاذا لم يحدث له ذلك فافتراض أنها بدل من ناء التائيت يصعب علينا قبوله . يضاف الى ذلك ان إبدال النساء هاء مباشرة ولأسباب صوتية محبطة أمر صعب وحديث كاتبنا من بروكلمان يؤكد ما نراه اذ يقول : « ان التغيير الطارئ على النساء ، والذي يستدعي الانتباه اكثر من غيره هو انقلاب علامة التائيت في الاسماء والصفات اي (ة الى ة) عند الوقف ولما كان ابدال النساء هاء مباشرة ولأسباب صوتية محبطة من الظواهر المستبدة نوعا ما ، فقد اقترح بروكلمان في المختصر ج 1 من 48 تفسير هذا الحديث بالصورة التالية :

(8) النشر في القراءات العشر ج 2 من 85 .

(9) دروس في علم اصوات العربية . جان كاتبنا من 52 .

الْحُرُوفُ الْقَرِيبَةُ وَالْحَوَاسُ، الْسَّتُّ^(١)

لَهُوَكَسَّا فَهَسَّا بَعْدَ كَسَّ

دَمْشَقُ

الحمض النووي من الخلية البذرية المولدة ، اطلقوا عليها اسم مدونة (ADN) . وبفك رموز هذه المدونة وجدوا أنها مؤلفة من أربعة أحرف ، دعواها بالأبجدية الوراثية ، ورمزوا إليها بأحرف (ت. س. غ. ٢) . ويشمل معجم هذه المدونة (64) كلمة ، قد تناير بعضها عن البعض ، كل كلمة منها تشكل متواالية من ثلاثة أحرف على الشريط الكيميائي ، الآفتذكر (2) .

وانن يمكن أن نستنتج من هذا الاكتشاف اللغوي البيولوجي الحديث ، ان الإنسان لم يبدع اللغة استجابة عقلية للضغط البينية المشتركة بين الإنسان والحيوان نحسب ، وإنما استجابة لتركيبه البيولوجي

اللغة ، كاداة للتواصل بين البشر ، هي كالاموات البيجانية والمرకات البينية ، وما اليها من وسائل التواصل والاعلام في دنيا الانسان والحيوان على حد سواء .

ولكن لماذا انصرف الانسان عن وسائل الاعلام البديلة هذه الى اللغة ، وبينهما فروق نوعية جبار استحال معها على الحيوان أن يجتازها الى اللغة ؟ كان فلاسفة وعلماء اللغة والنفس يعزون ذلك الى ملكة العقل في الإنسان . ولكن يبدو ان علماء البيولوجيا قد جاؤوا بتعليق جديد آخر .

ملقد اكتشف علماء اللغة البيولوجيون مؤخرًا ، لغة حياتية مسجلة على شريط كيميائي في جزء

(1) مدخل الى دراسة بعنوان « الحروف العربية والحواس الست » معدة للطبع .

(2) كتاب الاتجاهات الرئيسية لبحث العلوم الاجتماعية والانسانية . اليونسكو ، المجلد الثاني ، ترجمة وزارة التعليم العالي السورية ص 306—313

الحروف العربية وبين الحواس الست ، مما لم يزره دارس في اللغة العربية حتى الان ، لا بد له من نجح جيد في البحث والتقصي ، ولا بد لهذا النجاح اذا كان محبجاً أن يطرح تضاعياً غير مطروحة ، ليصل إلى نتائج غير مسموعة .

ومع ذلك لا يحسب القاريء ان موضوع هذه الدراسة مبتكر لم يسبقني إليه أحد . فلقد تناوله كثير من علماء اللغة العربية وفلسفتها وفقها وأدبائها طوال ألف عام ونيف .

الموضوع الأساسي لهذه الدراسة هو نظرية اللغة العربية .

وهذه النظرية التي ظلت من مسلمات المدرسة اللغوية التقليدية ، طوال ألف عام ، قد رفضها أخيراً أصحاب مدرسة لغوية محدثة من خريجي الجامعات الغربية ، وقالوا برمزية اللغة واصطلاحيتها الغربية كانت اللغة أو عربية . لقد اخروا بأراء علماء اللغة الغربيين الذين اجمعوا على ان اللغة « هي التعبير الرمزي بالذات وإن كان لها الأولوية على كافة انباط الرمزية التواصلية » (3) .

ولقد شهد القرن الحالسي صراعاً مرئياً بين المدرستين ، كانت الغلبة العددية فيهما لأصحاب المدرسة الحديثة ، بحكم قائمهم العلمية الرفيعة ، ومركزهم الجامعي المرموته ، وسلطانهم الرسمي على عقول أجيال من أدبائها ولغوبيها من خريجي الكليات الأدبية التي يشرون إليها ، لا فرق بين من قال منهم بعبرية اللغة العربية ، وبين من انكرها .

أيضاً وقد جهز بشرط لغوي مسجل في خلبيه البذرية المولدة (تسبحان الذي علم الإنسان ما لم يعلم) .

وهكذا غالفة بحسب هذا الاكتشاف تنتهي إلى الخصائص البيولوجية في الإنسان ، قبل أن تنتهي إلى الملكة المطلقة فيه . وإن لغة الإنسان الفجر هي من نتاجه الفطري الألصق بالغريزة وليس قطعاً مجرد مسطلحات عقلية تواضع الناس على معاناتها .

كما يدعم هذا الاكتشاف صحة من ذهب إلى القول بأن أصوات الحروف ، هي أصل اللغة ، وإن اللغة ذات الانتمال والمصادر الثلاثية الأحرف ، كاللغة العربية ، هي أقرب إلى نظرية الإنسان الموروثة من سواها .

اسوق هذه النبذة من مدونة (ADN) وابجديتها الوراثية ، لا كحقيقة علمية نهائية ، لتحليل نشأة اللغة ، ففي كل يوم حدث علمي جديد ، وإنما للوصول إلى أن الربط بين أصوات الحروف العربية والحواس الست ، ليس أمراً مزاجياً ، إذ يمكن ان يرقى هذا الربط إلى مرتبة العلمي ، إذا ابنته التجربة .

وهكذا تعرضت في هذه الدراسة بحكم الصلة الجديدة المتنرضة بين الحروف العربية والحواس الست ، إلى تضاعياً خاصاً تتصل بعلوم النفس والاجتماع والتاريخ والآثار والتبيولوجيا والآصوات ، لم يسبق ان تعرض لها باحث في اللغة العربية على ما أعلم .

فمجرد القول بوجود حاسة سادسة ، ومن ثم السعي للكشف عن العلاقة الكائنة بين أصوات

(3) المرجع السابق من 281

ما بحث على المعلم تبول نتائجها ، عربا كان ، او غير عربي .

ما هي القضايا التي تطرحها نظرية اللغة العربية ؟

هذه النظرية تعنى مبدئيا ، ان اللغة العربية مقتبسة مباشرة عن الطبيعة ، مادتها وانسانها ، وان اثر الطبيعة لا يزال عالقا في جذور حروفها مبنى ويعنى الى يومنا هذا .

وانها تفترض ان الانسان العربي الذي ابدع هذه الحروف لم ينحدر عن شعب آخر ، وان حروفه لم يتبسما عن لغة اخرى .

كما ان هذه النظرية تفترض ان يكون الحرف العربي ظاهرة ثقافية ، قد تفاعل مع متواتر الشخصية العربية وقيمها وتقاليدها ، وان يكون الانسان العربي بال مقابل قد تفاعل مع المفاهيم الثقافية للحرف العربي ، ومع خصائصه الصوتية ايضا .

ولقد استهدفت من هذه الدراسة اثابة الاذلة على صحة هذه المقوله ومتضيئاتها .

ولكن ما هو موقف المدرستين اللغويتين الانثني الذكر من هذه النتائج المستخلصة مباشرة من مقوله نظرية اللغة العربية ؟

بعض و بين أصحاب المدرسة اللغوية الحديثة :

لما كانت هذه المدرسة ترفض اصلا نظرية اللغة العربية ، فمن البدئي ان ترفض ايضا نتائجها .
ملا الحرف العربي بكر ، ولا الانسان العربي فجر ، وليس ثمة اي تفاعل بين الحرف العربي والانسان العربي ، ولا المكس بالمعنى صحيح ، الى آخر

وهكذا تصادر على دعوى نظرية اللغة العربية عوامل كثيرة ، من ابرزها :

ا - اجماع علماء اللغة الغربيين على رمزية اللغة ، ليصبح القول بنظرية اللغة العربية في نظرهم ونظر تلاميذهم ، ضربا من التخلف الفكري او التتوقع التعمسي ، دون ان ينتبهوا الى ما بين لفتنا واللغات الغربية من موارق في الاصول والنشأة والبنية .

ب - اعتقاد أصحاب المدرسة القديمة من القدماء والمحدثين على الحس الشاعري المرهف في المقتضى العربي : اذن موسيقية مدربة على الشعر ، تدرك الفروق الدقيقة بين تلوينات الاصوات ، ومعاناة ادبية طويلة ، يدرك معها الفروق الدقيقة بين تلوينات معانى الالفاظ . وهكذا لم يتبع اصحاب هذه المدرسة في ذلك نهجا علميا تجريبيا ، ولم يستعينوا ب مختلف العلوم الإنسانية والطبيعية الحديثة . وكانت ادلتهم اللغوية تعتمد تارة على النصوص (كالعلابيل) وتارة على ملكة التذوق الفني (كابن جني) ، وتارة على مدى صوت اللحظة في النفس (كالارسوzi) .

ج - انصراف معظم ادبائنا ولغويننا المحدثين عن الشعر العمودي تولا وحفظا ورواية ، مما اخذ معه الحس الشاعري المرهف ينضب في نفوسهم جيلا بعد جيل ، لفسر بذلك الملكة الفنية التي كانت تأخذ بأسلافهم الى نظرية اللغة العربية عنوة السليمة الشعرية والنشأة الادبية .

ولكن هل يستحيل علينا ان نحمل الانسان العربي المعاصر يدرك نظرية اللغة العربية ؟

اذا كانت نظرية اللغة العربية حقائق انسانية ، فلا بد لها ان تطرح مجموعة من القضايا الإنسانية والمالدية ، التي يمكن اخضاعها للخبرات العلمية ،

قد ترعرعت في ربوعها ، انهل من ينابيعها ، وأقطع
من ثارها ، واقتبا ظلالها . فكانت جنتي اللغوية
النجر ، وما كان أسمعني بها ، حتى ظننت أنه
لن يكون يوماً ما أي مراق بيني وبين اقطابها .

ولكن ، على الرغم من انطلاقي وايام في البحث
والتنفس من نقطة الابداء ، هي بداية الحرف
العربي ، ووصلتنا سوية إلى نقطة الاتماء ، هي
نظرية اللغة العربية ، فاتس لم ألتقي وايام في هذه
المسيرة اللغوية الطويلة بين هاتين النقطتين ، الا في
صف من تناظع الطرق ، لتنق حينا ونختلف أحياناً
كثيرة .

فلقد اعتمد أصحاب هذه المدرسة في ابحاثهم
وتصنيفهم بصورة عامة على سلبيات ادبية متمنكة ،
وحس مرهف الشعور . ولربما تجاوزوا في تصنيفهم
أحياناً ، النطاق اللغوي التقليدي ، إلى نطاق علوم
النفس والحركة والاصوات ، والاجتماع وغيرها ،
ولكن دون أن ترقى مثل تلك اللبلع الذكية إلى مرتبة
البحوث العلمية الحديثة . بلأ نهج علمي تجريسي
واضح ، ولا استئثار جدي لمكتشفيهم اللغوية في
مبادرات النفس والمجتمع والتاريخ والاصوات وما
اليها .

ولقد عقدت نصلاً خاصاً في هذه الدراسة بعنوان
(علماء اللغة العربية وابحاث الحروف) استعرضت
فيه آراء لبيب من كبار أصحاب المدرستين اللغويتين ،
حول خاصية الإباء في الحروف العربية ، المرتبطة
ب مباشرة بنظرية اللغة العربية .

أما أنا ، فقد نهجت في التدليل على نظرية
اللغة العربية نهجاً مغايراً .

ما هناك من ضروب الرفض والاكار ، حتى ليظن
القارئ وكأنه لا لقاء بيني وبين أصحاب هذه المدرسة
في شيء .

وعلى الرغم من اختلافى وايام في بداية
الشووط ، واختلاف وايام في نهايته ، فما اطول
ما تعقبت خطاهم بين هاتين النقطتين ، وما إنثر ما
لجلت إلى العلوم التي استخدموها في ابحاثهم اللغوية ،
وأن غَشَّ كل منا على ليله) .

ولئن كنت استمنت ببذ من علوم التاريخ والأثار
والاجتماع والتزبولوجيا والاصوات والفن والأخلاق ،
بمعرض اثابة الأدلة والبراهين على صحة هذه المقوله ،
فإن هذه الدراسة تتفى أكثر ما يكون الانتفاء إلى
علم اللغة النفس .

فاللغة العربية بخصائصها ومزاياها النظرية ،
لا يمكن ان تكشف للذهن العربي ، ما لم يستخدم
العلوم اللغوية الحديثة في دراستها وتحليلها ، ولكن
تحت رقابة حس شاعري مرهف ، وذوق ادبي رفيع .

فاللغة العربية ظاهرة نظرية من مظاهر
الحياة الإنسانية ، لا تخسر العلم الحديث قطعاً ،
وبقدر ما نستخدم من الوسائل العلمية الحديثة في
استجلاء كنها ، تناح لنا الفرصة للكشف عن المزيد
من قيمها الجمالية ومضامينها الثقافية ، لا بل وللكشف
أيضاً عن المزيد من خصائص الحياة الإنسانية وقيمها
كريفيتي عمر منذ فجرها الحضاري الأول .

نفي اللغة العربية من الاصالة العلمية ، ما في
أي بادرة اصيلة من بوادر الحياة .

بيني وبين أصحاب المدرسة اللغوية القديمة :
أني واحد من تلاميذ هذه المدرسة ومربيها .

فما هو منهجي في هذه الدراسة؟

كما تبين لي ان الانسان في الجزيرة العربية تد مر بمراحل حياتية ثلاثة :

1 - مرحلة الصيد : وقد استمرت منذ نجир الانسانية حتى الالف الثالث عشر قبل الميلاد . وكان الرجل القوي في هذه المرحلة هو سيد الاسرة بلا منازع .

2 - مرحلة الزراعة : وقد بدأت أول ما بدأت على وجه الارض في الجزيرة العربية على يد المرأة ، حوالي الالف الثاني عشر قبل الميلاد . وكانت المرأة في الجزيرة العربية أول ملاح في التاريخ لتكون بذلك أول معلم في دنيا الحضارات . وفي هذه المرحلة انتزعت المرأة النكبة زمامنة الاسرة من الرجل القوي .

3 - مرحلة الرعي : وقد نشأت في الجزيرة العربية أول ما نشأت على وجه الارض ، حوالي الالف العاشر قبل الميلاد . وفي هذه المرحلة استعاد الرجل الشجاع المحارب سيادته على الاسرة ، ولا يزال محظقا بها إلى حد ما ، حتى اليوم .

كما تبين لي ان انسان الجزيرة العربية قد أبدع حروفه عبر هذه المراحل الحياتية الثلاث ، فكان منها الغابي والزراعي والرعوي . وقد أبدع الرجل استجابة للمقتضيات المهنية في مرحلتي الصيد والرعاية بعض الحروف ، كما أبدع المرأة استجابة لمقتضيات مهنتها في المرحلة الزراعية بعض الحروف ايضا .

وعلينا ان الموجات البشرية التي خرجت من الجزيرة العربية بين الالف العاشر والثامن قبل الميلاد الى وادي الفرات ووادي النيل ، تحت ضغط الجناف المتزايد ألف عام بعد ألف ، كانت تحمل بذور حضارة راقية ، من حروف عربية ، ورموز كتابية ، وأدوات مدنية ، ومعتقدات سماوية وتنظيمات قبلية كانت

لقد اعتمدت طريقة الخطأ المفترض في البرهان الرياضي للتحقق من صحة مقوله نظرية اللغة العربية . افترض ، وأتساءل عن صحة الافتراض ، وأجيب . ثم أتساءل عن صحة الاجابة . وهكذا ، الى ان تتطابق الاجابة الاخيرة مع حقيقة الواقع . فتنسحب هذه الحقيقة الاخيرة ، بحكم المنطق الرياضي ، على جميع الافتراضات السابقة وأجيونها .

الافتراض الأول :

اذا صح ان اللغة العربية نظرية النشأة ، فان ذلك يفترض بدأء الحرف العربي ونجربة الانسان العربي على حد سواء .

(بداءة الحرف العربي مرتبطة مباشرة بتجربة اللغة العربية ولا فراق . ونجربة الانسان العربي مستخلصة من هذه الصلة الراهنة بين معانى الحروف العربية وبين الطبيعة . اذ لو ان انسان العربي اقتبس حرونه عن غيره ، لانتظمت هذه الصلة بينها وبين الطبيعة ، مثلما انتظمت في الحروف الغربية المقتبسة اصلا عن الابجدية النينيتية) .

وللاجابة على هذه الفرضية ، عقدت نصلا خاصا في مستهل هذه الدراسة بعنوان : « حول بدأءة الحرف العربي والانسان العربي » .

ولقد تبين لي من هذه الدراسة ، ان انسان الجزيرة العربية ظل متينا فيها لم ييرحها قطعا ، ولم يغزه في عمر داره شعب آخر على الاطلاق ، منذ بداية العصر الجليدي الرابع حوالي الالف السادس قبل الميلاد حتى الالف العاشر او الثامن قبل الميلاد ، بعد ان ابدع جميع حروفه .

والشاعر الاسطورة . ناصوات الحروف ، قبل ان
تنتمي الى القطاع اللغوی ، تنتهي أصلا الى القطاع
الموسي .

ولقد اقتضتني الاجابة على هذا الافتراض ،
القيام بدراسة مبكرة على الحواس الخمس للكشف
عن العلاقات المتبادلة بين الاموات والحواس ، وقد
خلصت من هذه الدراسة الى تصنیف الحواس نسی
مرين حسين اثنین :

١ - نالحواس الخمس من حيث ماديتها يمكن
تصنيفها في هرم حسي سوي .

يبدأ هذا الهرم بحاسة اللمس ، أثذ الحواس
مادية ، كتاعدة له . ثم تأتي حاسة الذوق الأقل
مادية ، في الطبقة الثانية . ومن ثم تأتي حاسة الشم ،
حاسة النظر ، لتحتل حاسة السمع أقل الحواس
مادية وأكثرها تجريدًا ، قمة الهرم .

ب - أما الحواس الخمس من حيث قدرتها على استياء الاحاسيس (أي التأثر بها وادراكها)، فيمكن تصنيفها في هرم حسي منكوس ، ذروته في الاسفل ، وقاعدته في الاعلى :

يبدأ هذا الهرم بحاسة اللمس المغلقة على نفسها في الذروة المنكوبة ، فلا توحى ملامس الأشياء باي احساس ذوقى او شمى او بصري او سمعى او شعوري . ثم تأتى حاسة الذوق من الطبقة الثانية . فتتحلى مذاقات الأشياء ، باحساس لسمية فقط ، ولا توحى بشئ من أحاسيس الحواس الأخرى او المشاعر الإنسانية . ثم تأتى على التوالى حواس الشم ، فالنظر ، فالسمع . كل حاسة منها تدرك أحاسيسها وتستوحى أحاسيس من دونها من الحواس ، دون أن تستطيع استيعاب أحاسيس من

أساس أنظمة الحكم في المنطقة العربية حتى العصر الحديث .

الافتراض الثاني:

اذا صع أن الحروف العربية بديئة ، فالمفترض
ان يكون الانسان العربي قد استخدم اصواتها للتعبير
من مختلف احساسه الحسية ومشاعره الإنسانية .

وفي الحقيقة ، عندما لم يمس الانسان العربي النجر الاشياء من حوله ، لابد انه قد عبر عن الاحساس بالخشونة او النعومة او الحرارة او الصلابة ، وما اليها من الملمس ، بأصوات معينة مرفقة بحركات جسدية ملائمة ، وذلك بعرض التواصل والاعلام مع ابناء مجتمعه . واذن يمكن ان نطلق على مثل هذه الاصوات اسم الاصوات اللميسية . ولا بد ان هذه الاصوات والحركات قد تطورت وتنهضت مع تطور الانسان العربي ، عقليا ونفسيا ، واجتماعيا ومهنيا ، لتسقط الحركات الجسدية وتختصر الاصوات الكثيرة اخيرا في اصوات حروف لميسية معينة .

ثم عندما تذوق هذا الاتساع الاشياء وشمها
ونظر اليها وسمع أصواتها ، وعندما عانى بعض
الانتهارات الشعورية ، فلابد أن يكون قد عبر عن كل
ذلك باصوات خاصة مرنة بحركات ملائمة ، على
مثل ما فعل باللموسات . لتسقط الحركات ، وتتهرب
الاصوات ، فتختصر في حروف ذوقية وشممية وبصرية
وسمعية وشعورية .

الاعتراض الثالث :

أذاً صع أن الإنسان العربي قد عبر عن أحاسيسه ومشاعره بأصوات الحروف العربية الفجرية فلمافترض ان توحى الأصوات بمختلف الاحاسيس

· بالذات ·

وهذا ما تأدى إلى القول بأن الشعور الذي يعي ذاته بذاته ، هو الحاسة السادسة . فمقدت نعملاً خاصاً للكشف عن دور الشعور ، سواءً في عملية ابداع أصوات الحروف عن طريق التics ، أو في عملية استيحاء معايير الأصوات عن طريق الاستبطان ، لأخلص أخيراً إلى البرهان على أن الشعور يتمتع بخصائص الحواس ، وإن تميز منها في بعض المواقف . ونظراً لثنائية هذه الحاسة وتجدرها المطلق عن المادة فقد صنفتها على امتداد الهرمين الحسينين نوقي ذروة الأول ونوعية الثاني .

الافتراض الرابع :

إذا صح أن الإنسان العربي قد عبر من أحاسيسه ومشاعره بأصوات حروفيه ، وأن الأصوات توحى فعلاً بمختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية ، فالمفترض أن توحى أصوات الحروف العربية بهذه الأحاسيس المشاعر .

(فمجرد القول بأن الإنسان العربي مجرد استخدم أصوات حروفيه للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره ، لا يتضمن بالضرورة هذه الصلة الإبهاجية بين أصوات الحروف ومعانيها . إذ يمكن ان نصرف ذلك إلى أن الإنسان العربي قد فرض رمزية مصطنعة بين الحروف ومعانيها، وذلك على مثال تجربة العالم باتوف الشهيرة الذي استخدم فيها قرع الجرس لتنبيه الحاسة الذوقية في كلبه . وليس بين صدى قرع الجرس وبين حاسة نوقي كلبه إلا عادة تقديم الطعام له عند القرع ، ولا إيحاء ولا استيحاء) .

نوقها . ولذلك فإن حاسة السمع تستوحى مختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية . بمعنى أن الأصوات توحى أصلاً بمختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية .

وهذه العلاقة بين الأصوات وبين الأحاسيس والمشاعر الإنسانية قد اكتشف بعضها كثيراً من العلماء والابباء والشعراء والفلسفه . منهم مالم الصوت (يلمار) الذي تبين له من كشفه (ان ثمة شبهاً بنبيوبا أساسياً بين أصوات اللغة التي تدركها الان ، وبين الألوان التي تراها العين) (4) .

ومنهم الشاعر الفرنسي رامبو الذي لحظ أن لآصوات بعض الحروف الفرنسية إيحاءات بألوان معينة ، ليوحى له صوت حرف (O) بـ اللون الأسود .

ومنهم ابن جني الذي جاء بقاعدته الشهيرة (حنوا لسموع الأصوات على محسوس الأحداث) لتوضيح العلاقة الطبيعية بين الصورة الصوتية للنقطة وبين صورتها المرئية في العدث الذي تعبر عن معناه .

ومنهم الارسوزي الذي تأل بالعلاقة الثالثة الاركان بين الصورة الصوتية للفظة العربية والصورة المرئية لها ، وصداها في الوجدان (اي المشاعر الإنسانية) .

إلا أن أحداً لم يقل بأية علاقة بين الأصوات والأحاسيس الذوقية والشممية .

ولكن تبين لي أنتهاء هذه الدراسة ، إن الأصوات الانفعالية ، لا يمكن أن توحى بمشاعرها الإنسانية بدقة ، ألا إذا كان سامعها قد عانى سابتها هذه المشاعر

(4) المرجع السابق ص 326

الحرف العربي دوره الفعال في تكوين معنى اللحظة العربية .

وللحقيق من صحة هذه الافتراضات لجأ إلى الماجمغ اللغوية للكشف عن مدى التوافق بين خصائص الحروف الصوتية وبين معانٍ الانفاظ التي تدخل في تركيبها .

ولقد كان من أصول البحث العلمي ، إن استخرج معانٍ جمّيع المصادر التي تبدأ بحرف معين ، ثم معانٍ جمّيع المصادر التي تنتهي به ، ومن ثم جمّيع معانٍ المصادر التي يقع هذا الحرف في أواسطها . ثم أثار بين هذه المعانٍ وبين الخصائص الصوتية لهذا الحرف . وذلك لأرى متدار نسبة التوافق بين خصائصه الصوتية وبين معانٍ جميع المصادر التي شارك في بنائها . وأخيراً ، لنقرر فيما إذا كان الإنسان العربي قد استخدم الخصائص الصوتية لهذا الحرف في معانٍ الفاظه ، لم أنه لم ينفع . وهكذا حرفنا بعد حرف ، لنحكم في النهاية ، فيما إذا كان للحروف العربية معانٍ خاصة ، أم أنها مجرد رموز على معانٍ ، وإن اللحظة العربية وبالتالي ، مجرد مصطلح على معنى ، كما يتقول أصحاب المدرسة اللغوية الحديثة .

ولما كان هذا التقصي العلمي فوق طاقتني ، فقد رأيت بادئ ذي بدء أن أكتفي باستخراج معانٍ الانفاظ التي تبدأ بالحرف موضوع الدراسة ، بزعم أن الحرف الأول من اللحظة العربية ، هو الذي يطبع معانٍها بخصائصه الصوتية . وذلك استباطا من النزعة التربوية في الإنسان العربي المتهتم بأنه مولع بمكان الصدارة من كل أمر ، لا يبعد معها ان يبتعد الزعامة في الكلمة للحرف الأول . فماذا كانت النتيجة؟

وللحقيق من صحة هذا الاستدراض ، أخذت أناضل مدى اصوات الحروف العربية في نفس حرفنا بعد حرف ، للكشف عن خصائصها ومعانٍها ، على مهل الشهور والأعوام . ولقد تبين لي أن هذه الحروف موزعة بالفعل بين الحواس والمشاعر الإنسانية ، لكل حاسة مجموعة من الحروف ، وكل انفعال شعوري أساسي ، حرف خاص .

فكان لحاسة اللسان ستة حروف هي : (ت. ث. د. ذ. ك. م) .

وكان لحاسة النطق حرفان اثنان هما (ر. ل) .
وكان لحاسة البصر أحد عشر حرفنا هي (المهمزة) .

وكان لحاسة الشعور سبعة أحرف هي : (ص. ض. ن. خ. ح. هـ. ع) .

أما حاسة الشم فلم أجد لها حرفنا خاصاً بها ، وإن كان لبعض اصوات الحروف إيحاءات شبيهة ، إلى جانب إيحائاتها الحسية الخامدة . على أن حرف الطاء البصري ، هو المتص الحروف بحاسة الشم ، مخرج صوت وإيحاء معنى .

الافتراض الخامس :

إذا صح ما انتهيت إليه من تأملاتي الخاصة ، من حيث تصريف الحواس في هرمين حسيني ثم من حيث توزيع الحروف بين الحواس والمشاعر الإنسانية ، فالمفترض أن يكون لكل ذلك سند من واقع اللغة العربية . ولا بد للإنسان العربي أن يكون استثمر الخصائص الصوتية لحروفه في ابداع ألفاظه للتعبير عن معانيها . ويتعمّر أدق ، لا بد أن يكون لصوت

تتصدرها او تتوسطها او تنتهي بها ، كما لم تستطع ان تحتفظ بطبقاتها الهرمية . فهي حروف اعمية ، لتلوين معانى الانفاظ التى تدخل فى تراكيبها ، كحروف : (ا ، و ، ي ، ط ، ح) . شأن هذه الحروف ، شأن الامعيات فى المجتمعات الاساسية .

وهكذا بالتزام معانى الانفاظ التى تبدأ بالحروف القوية الشخصية بطبقاتها الحسية ، لا تتجاوزها الى الطبقات العليا ، الا نادرا ، وان شملت الطبقات الحسية الانس ، فان ذلك يؤكّد صحة تصنيف الحواس فى البرم العصي المنكوس ، وان الاموات بخاصة توحى بأحساسهم جميع الحواس .

الافتراض السادس :

(كل اثر ننسي اصيل يحمل بالتأكيد نسمة من روح مبدعه ، لينطبع بطباعته الشخصية المميز ، عماره كان الآخر ، او نحتا ، او رسمـا ، او شعرا ، او موسيقى او أبا ... مما يستطيع منه نوافذ الفنون الأصلاء ، ان ينسبوا الآثار الفنية المجهولة الاتساب الى أصحابها) .

فما زع ان الانسان العربي قد ابدع حروفه عنو فطرته السوية ، ليعبر بها من أحاسيسه ومشاعره في الناظ طوال آلاف الاعوام ، فالمفترض ان يحمل الحرف العربي طابع الشخصية العربية .
وللتحقق من صحة هذا الافتراض عدت نصاً خاصاً في التسم الثانى من هذه الدراسة بعنوان : « بين فردية الانسان العربي وفردية الحرف العربي » .

وفـ الحقيقة ، لما كان الانسان العربي قد بدأ حياة الرعي والتشرد في الجزيرة العربية منذ الـ العاشر قبل الميلاد ، ولا جرمان عالية تعصمه من

لقد صدقـت وجهـة نظرـي هذه بالـنسبة للـحـروف القـوية بـصـورـة غـير مـتوـقـعة . فـكانـت خـصـائـصـ الـحـروفـ ذـوقـاتـ الشـخصـيـاتـ المـتـيـزـةـ تـتطـابـقـ معـ مـعـانـىـ الـانـفـاظـ التيـ تـبـداـ بـهاـ ، بـشـبـبـ تـراـوـحـ بـيـنـ (ـ40ــ66ـ)ـ بـالـثـلـاثـةـ ،ـ كـحـروفـ (ـدـ،ـ رـ،ـ لـ،ـ بـ،ـ جـ،ـ فـ،ـ زـ،ـ قـ،ـ خـ،ـ صـ،ـ هـ،ـ عـ)ـ .ـ كـماـ انـ مـعـانـىـ الـانـفـاظـ التيـ بـدـأـتـ بـعـمـلـ هذهـ الـحـروفـ قدـ التـزـمتـ بـطـبـقـاتـ الـهـرـمـيـةـ ،ـ لـمـ تـتـجاـوزـهاـ الىـ الطـبـقـاتـ الـعـلـياـ ،ـ الاـ نـادـراـ ،ـ وـيـنـعـمـ حـرفـ توـيـيـ الشـخـصـيـةـ يـتـسـىـءـ إـلـىـ تـلـكـ الطـبـقـاتـ ،ـ وـتـلـكـ مـعـجـزةـ خـارـقةـ لـاـ مـثـيلـ لـهـاـ فـيـ ايـ لـغـةـ مـنـ لـغـاتـ الـعـالـمـ .

نعمـانـىـ جـمـيعـ الـانـفـاظـ التيـ تـبـداـ بـحـرفـ الدـالـ الـلـمـسـىـ مـثـلاـ ،ـ لـمـ تـتـجاـوزـ طـبـقـتـهـ الـلـمـسـيـةـ الـلـمـسـىـ الـعـلـياـ الاـ فـيـ كـلـاتـ الـنـاظـ (ـالـدـسـمـ)ـ لـطـبـقـةـ الـفـوـقـيـةـ ،ـ وـ(ـدـنـنـ)ـ وـ(ـدـوـيـ)ـ لـطـبـقـةـ الـسـمـيـةـ .

اماـ الـحـروفـ الشـاعـرـيـةـ الرـقـبـةـ ،ـ كـحـروفـ (ـمـ،ـ سـ،ـ نـ)ـ ،ـ فـكـانـتـ تـأـدـرـ عـلـىـ فـرـضـ خـصـائـصـ الـصـوـتـيـةـ عـلـىـ مـعـانـىـ الـانـفـاظـ ،ـ عـنـدـماـ تـقـعـ فـيـ نـهـيـاتـهاـ وـلـيـسـ فـيـ أـوـاـلـهاـ ،ـ وـتـلـكـ رـهـانـةـ سـعـىـ فـيـ الـإـسـانـ الـعـرـبـيـ مـلـفـتـةـ لـلـاتـظـارـ .

(ـ وـذـلـكـ ،ـ عـلـىـ مـثـالـ ماـ كـانـتـ المـرأـةـ فـيـ الـجـمـعـ الرـعـويـ أـوـحـىـ بـخـصـائـصـ الـأـثـنـيـةـ ،ـ رـقـةـ وـحـشـمةـ وـاحـاطـةـ وـحـنـاتـاـ ،ـ عـنـدـماـ تـسـتـرـ فـيـ مـفـرـيـبـاـ فـيـ مـؤـخـرـةـ الـصـلـوفـ ،ـ أـنـسـجـلـاـمـاـ مـعـ مـبـلـهاـ النـطـرـيـ الـأـصـيلـ الـسـيـ دـوـامـيـ الـطـمـيـنـيـةـ وـالـإـسـتـرـارـ .ـ عـلـىـ الـمـكـسـ مـنـ الـرـجـلـ الـرـاعـيـ فـيـ صـحـائـصـ ،ـ الـذـيـ كـانـ بـجـمـارـةـ صـوـتهـ ،ـ وـخـشـونـةـ مـنـظـرـهـ وـمـلـبـةـ تـسـمـاتـهـ ،ـ أـوـحـىـ بـالـقـسوـةـ وـالـرـجـولةـ وـادـمـيـ الـبـطـولـةـ ،ـ عـنـدـماـ يـكـونـ فـيـ مـقـدـمةـ الـسـنـوـفـ)ـ .

اماـ الـحـروفـ الـفـسـيـنـةـ الـشـخـصـيـةـ ،ـ لـمـ تـلـمـعـ فـيـ فـرـضـ خـصـائـصـ الـصـوـتـيـةـ عـلـىـ مـعـانـىـ الـانـفـاظـ التيـ

ومكذا قامت فريدة الحرف العربي على أصلة
الصلة بين خصائصه الصوتية المميزة وبين معاناته ،
على مثال ما قامت الفريدة العربية على أصلة الصلة
بين طاقاته الجسدية وطاقاته الروحية .

وأنسجاماً مع نهج الإنسان العربي الفني
الأخلاقي مراتبه الاجتماعية وتقاليده ، ومؤسساته ، قد
خس الحروف العربية التي في أصواتها تناسق
وانسجام وفعالية بمختلف معانى الشهامة والمرودة
والسموّ ومشاعر النخوة والحنين والخشوع وما إليها
من القيم الإنسانية . أما الحروف التي في أصواتها
نجاجة وأضطراب ورخاوة ونشاز ، فقد خسها بمعانى
النظاظة والتباخة والخسة والتقداره والعناء
والاضطرابات النفسية والتشوهات الجسدية ، وما
إليها من التناقض الإنسانية ، في روابط محيحة
صريرة متبادلة بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية ،
ظاهرة لغوية متفردة في دنيا الحروف لا مثيل لها في
لغات العالم أيضاً .

ليسدّق بذلك الحدس الذي تأسست عليه أصلًا
هذه الدراسة وما تأله :
« لا من بلا أخلاق ، ولا أخلاق بلا من »

الافتراض السابع :

إذا صح أن الإنسان العربي قد صب نسبياً
الحرف العربي عصارة روحه ، وخلاصة مقوماته
الشخصية ، على وجه ما سبق ، فالفترض أن يكون
ثمة علاقة تنسية بين الحرف العربي والإنسان
العربي .

وللحقيق من صحة هذا الافتراض ، عقدت فصلاً
خاصاً في القسم الثاني من هذه الدراسة بعنوان :
« الجوانب النفسية في الحرف العربي » .

عاديات الوحش والناس ، ولا سقوف مرفوعة
تنبيه من تقلبات الطقس والطبيعة ، فقد استجاب لكل
هذه التحديات بمحضون منيعة من النوة والشجاعة ،
وباردية واتية ، من التفشت والصبر والجلد .

ولما كان المجتمع العربي الرعوي لم ينعم بسلطة
مركزية مسيطرة تحميء من أعدائه والطامعين بقطعناته
فقد لجا إلى روابط قبلية تتجدد مند الحاجة وثار له
منذ الانتفاضة .

ولما لم تتوفر له مؤسسات اجتماعية تكتله في
عوزه وبرده وضنه وطوارئه ، فقد أحدث مؤسسات
إنسانية من تقاليد الكرم وإلضيافه ومناهيم الشهامة
والمرودة والنجد والشرف ، يلجا إليها عند الضرورة

ومكذا قامت فريدة الإنسان العربي أول ما
تآلت ، على أصلة الصلة بين طاقاته الروحية
وطاقاته الجسدية ، بعضها يأخذ بعنق بعض .
مكلاً صبت نفسه في مواقعه إلى قيم إنسانية عليا ،
استجاب جسده لتحديات الحياة قوة وتجداً . والعكس
بالعكس صحيح . لتقوم فريدة الإنسان العربي أصلًا ،
على الرابطة الأصلية بين القيم الأخلاقية والقيم
الاجتماعية .

وبالمقابل ، فإن الحروف العربية قد نشأت منذ
نجرها الأول في بيئة بكر ، للفة فيها ، ولا من ولا
أدب ، ولا دين ، ولا نلسنة ، فألتى الإنسان العربي
على عاتقها كل هذه الاباء الثقافية للتعبير عن أحاسيسه
ومشاعره وافكاره و حاجاته . وقد استجابت الحروف
العربية عبر العصور لهذا التحدي الثقافي الكبير .
لتحمل الحروف العربية في طيات أصواتها تراث
الإنسان العربي الثنائي ، إن لم يكن تراث
الإنسانية .

ولقد عقدت في القسم الثاني من هذه الدراسة نصلا خاصاً بعنوان «الحروف العربية والآصوات الفنائية»، كشفت فيه عن مخارج آصوات بعض المغنيين والمرتلين، منهم ذو المخرج الصوتي العيني، (وديع الصاف)، عبد الوهاب في شبابه، فیروز، أم كلثوم، والهاتي (فريد الأطرش)، خضيري (بسو عزيز)، والهاتي (نجاح سلام)، والهاتي (نایزرة أحمد)، والتونسي (عبد الباسط عبد الصمد)، أحمد السكري.

ولكن هل تقتصر هذه القاعدة الصوتية اللغوية على الإنسان العربي فحسب، أم أنها تتجاوزه إلى الناس كافة؟

بحكم أصلية الصلة بين الخصائص الصوتية للحروف الغربية المتيبة عن الطبيعة وبين مماتها، فإن الحرف العربي، في هذا المضمار الصوتي اللغوي، يتجاوز نطاقاته التوسي إلى الإنساني. ولقد ضربت على ذلك بعض الأمثلة عن مختلف الشعوب.

ومن ينكر علينا هذه الملاقة بين شخصية الإنسان وبين مخرجـه الصوتي على مستوى الأفراد والشعوب، فإنه احيلـه إلى المحنـيات الصوتية الثلاثـة التي اكتـشـفـناها العالم (دوارد سيفـرـز) وـتـلمـيـذهـ الموسيـقـىـ «غـوـستـافـ بـكـينـجـ».

ـ فـكـلـ فـرـدـ، عـلـىـ رـأـيـهـاـ، بـحـلـ كـلـمـهـ خـصـائـصـ لاـ تـنـعـطـلـ، وـلـاـ يـكـنـ التـخـلـىـ عـنـهـاـ. وـهـذـهـ خـصـائـصـ تـرـجـعـ فـيـ أـصـلـهـاـ إـلـىـ الـقـسـمـ الـأـدـنـىـ مـنـ الـجـهـازـ الصـوـتـيـ الـوـاقـعـ بـيـنـ مـنـطـقـةـ الـبـطـنـ، وـبـيـنـ الـصـدرـ وـالـجـوـيـفـ الـبـطـنـيـ. وـبـتـحـلـيـلـهـاـ لـلـآـصـوـاتـ الـبـشـرـيـةـ، تـبـيـنـ لـهـمـاـ أـنـ ثـلـاثـةـ نـيـازـجـ أـسـاسـيـةـ مـنـ الـمـحـنـياتـ، وـلـكـلـ مـنـهـاـ تـقـرـعـاتـهـ. وـكـلـ مـنـكـلـمـ يـنـتـمـيـ أـصـلـاـ لـوـاحـدـ مـنـ

وفي الحقيقة، لما كان لصوت كل حرف عزى خصائصه الصوتية الذاتية التي توحـي بـمعـانـيهـ، فإـنـهـ لاـ بدـ لـلـإـنـسـانـ الـعـرـبـيـ بـصـورـةـ مـبـدـيـةـ أـنـ تـتـأـثـرـ تـنـسـهـ بـخـصـائـصـ هـذـهـ الـحـرـفـ عـنـ التـلـفـظـ بـهـ. فـإـذـاـ كـانـ فـيـ صـوـتـ الـحـرـفـ اـهـتـازـ وـاـضـطـرـابـ كـالـهـاءـ مـثـلاـ، انـعـكـسـ هـذـاـ الـاهـتـازـ وـاـضـطـرـابـ عـلـىـ نـفـسـ تـائـلـهـ وـسـامـمـهـ عـلـىـ حـدـ سـوـاءـ. وـيـكـونـ ذـلـكـ أـوـضـحـ ظـهـورـاـ، إـذـاـ رـانـقـ مـثـلـ هـذـاـ الـحـرـفـ حـرـوفـ مـنـاسـبـةـ، وـرـكـبـواـ فـيـ مـيـنةـ مـلـائـمـةـ، وـلـاـ بدـ لـقـائـلـ هـذـاـ الـحـرـفـ أـنـ تـعـاتـيـ جـلـتـهـ الـعـصـبـيـةـ، ذـاتـ الـاهـتـازـ، وـاـضـطـرـابـ، اـسـتـمـداـداـ لـلـلـفـظـ بـهـ، عـلـىـ مـثـلـ مـاـ أـصـابـ مـبـدـعـهـ الـأـوـلـ، وـلـوـ بـاـنـفـعـلـ مـخـنـفـ، آـهـ، أوـتـاهـ.

وهـكـذـاـ الـأـمـرـ مـعـ بـقـيـةـ الـحـرـوفـ، وـاـذـنـ: لما كانت خصائص الحروف العربية هي وليدة مخارجـهاـ الصـوتـيـةـ عـلـىـ مـدـرـجـ النـطـقـ، وـكـانـ لـكـلـ إـنـسـانـ مـخـرـجـ صـوـتـ معـيـنـ عـلـىـ مـدـرـجـ النـطـقـ أـيـضاـ، فإنـ إـنـسـانـ الـذـيـ يـنـطـلـقـ مـخـرـجـهـ الصـوتـيـ عـلـىـ مـخـرـجـ أـيـ حـرـفـ مـنـ الـحـرـوفـ الـعـرـبـيـةـ، لـاـ بدـ أـنـ تـتـأـثـرـ شـخـصـيـتـهـ بـخـصـائـصـ ذـلـكـ الـحـرـفـ بـالـذـاتـ.

فالـفـرـدـ الـذـيـ يـكـونـ مـخـرـجـ صـوـتـهـ الـعـفـوـيـ الـمـعـادـ عـائـلـاـ مـثـلاـ، لـاـ بدـ أـنـ تـكـوـنـ شـخـصـيـتـهـ مـنـطـبـعـةـ مـسـبـتاـ بـخـصـائـصـ صـوـتـ هـذـاـ الـحـرـفـ، اـضـطـرـابـاـ نـفـسـياـ وـيـاسـاـ وـحـزـنـاـ نـفـيـناـ، وـانـ يـوحـيـ صـوـتـهـ بـالتـالـيـ بـهـذـهـ الـمـشـاعـرـ بـالـذـاتـ، وهـكـذـاـ الـأـمـرـ مـعـ مـنـ كـانـ مـخـرـجـ صـوـتـهـ عـيـنـيـاـ، أوـ حـائـيـاـ، اوـ جـيـبـيـاـ، اوـ تـونـيـاـ.. وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ مـنـ الـمـخـارـجـ الصـوتـيـةـ لـلـحـرـوفـ وـالـنـيـازـجـ الـإـنـسـانـيـةـ لـلـأـفـرـادـ. وـهـذـهـ الـقـاعـدـةـ الصـوتـيـةـ الـلـفـوـيـةـ، هـيـ أـصـدـقـ مـاـ تـكـوـنـ بـيـنـ الـمـغـنـيـنـ وـالـمـرـتـلـيـنـ.

بين التراث القديم والأسلوب العلمي المعاصر ،
للكشف عن خصائص الحرف العربي ، وعن مقومات
الإنسان العربي .

ملئ عنائي من هذه الدراسة ، أكثر ما عناني
جانبها الثقافى والقومى ، فتوخيت منها أول ما توخيت
أمراً اثنين :

أ - ان **القى بعضه تعريف مفاهيمينا** ، وتحديد
مضمونها الثنائى ، على عائق تبضة من الحروف ، لا
يمضي استيعاب خصائصها . فإذا ما توصل الإنسان
العربي إلى الكشف من جميع خصائص الحروف
العربية ومعاناتها ، في محاولات لغوية مماثلة ، استطاع
أن يحرر لغته وفلسفته وأدبه ومناهجه من مختلف
الشوائب . ويتحرير التراث العربي الأصيل من
دخيله ومدسوسه ، يستطيع الإنسان العربي أن
يستأنف مسيرة الثانية بروح عصرية جديدة ، دون
أن يتذكر لمضمونه **الذائق** ومقوياته القومية .

ب - ان استنبط من الحروف العربية نهج
الإنسان العربي في الحياة ، بقواعده التي أنسى عليها
ذاته ، وأقام تقاليد ، وبنى مؤسسته . فلربط
بين هذه التواعد وبين خصائص الحروف العربية
ومعانيها ، كحقائق راهنة لا مجال لإنكارها ، فيتمسك
باللب الأصيل ، ويقتظى عن القشر المرحلي العارض .
ومكذا فالحروف العربية ، إنما هي جنور
الإنسان العربي في الطبيعة والتاريخ مما . إنما
الجانبية للأمرئية التي تربطه بسميم امته وتجمع
بينه وبين إخوانه على سطوح مجتمعاتها .

ولهذا السبب بالذات ، قد أستهدفت الحروف
العربية منذ مطلع هذا القرن ، ولا تزال تستهدف

هذه المنحنيات التي تحكم بحركاته الجسدية واليدوية
والوجهية ، وكذلك بالكتابة والرسم والرسم
والرياضة والجنس ، وكافة النشاطات وأنماط
السلوك . وإن القبائل ، وحتى الشعوب برمتها ، لا
تستخدم ، بشكل شبه حضري ، إلا واحداً من منحنيات
(بكينج) (5) .

أسوق هذا الخبر (علم نفس - الصوت) ،
للتدليل على أن ثمة علاقة أصلية بين شخصية
الإنسان ، وبين طابعه الصوتي ، ولا يهم كثيراً بعد
ذلك ، أن يكون ، ، أو لا يكون ثمة علاقة ما بين
المخرج الصوتي للفرد والشعوب ، وبين منحنيات
(بكينج) وإن كنت لا أستبعدها .

وهكذا قد خصمت القسم الثاني من هذه
الدراسة ، وعنوانه (الحروف العربية والشخصية
العربية) ، لاستثمار خصائص الحروف العربية في
الكشف عن الجوانب النسبية والاجتماعية والفنية
والأخلاقية في الإنسان العربي ، وعن مدى تجاوب
الحرف العربي مع مقومات الشخصية العربية ،
على حد سواء .

وهكذا بدأت دراستي عن الحروف العربية ،
من حيث انتهى أصحاب المدرسة اللغوية القديمة ،
وانتهت بها عند أبواب المدارس اللغوية الحديثة ،
لم أتجاوز عنوانها إلا قليلاً ، ولكن صاحبة مقوله
نظرية اللغة العربية ، في زيها المصري المبتكر .

وأتسى لارجو أن تثير هذه الدراسة اهتمام
اللغويين من أصحاب المرستين ، ليواخوا في ذلك

(5) المرجع السابق من 314 - 316 .

نفقد بالتالي ارتباطنا ببيئتنا وأمتنا ، لنقترب في عقر دارنا غربة خاطمة ، لا لقاء معها أبداً الدهر .

وعندئذ ، تزداد فرسان بقاء ونساء جميع الكيانات السرطانية في جسم الوطن العربي العملاق، بما يمكن انثرته وزرعه في روابطه وبين أجزائه من مختلف عوامل التقسيم ، ومن شتى ضروب التناقض والتزاع .

لحملات مشبوهة من لهم التصور والعلم والتراثات الرجعية والتخلّك ، ليصار إلى تبديلها بحروف لاتينية تارة ، وللاستفاضة من النصي بالمجات العابية الحلبية تارات آخر .

ومندما نتخلى من حروفنا ، أو نمحانا ، لابد أن تتقطع بذلك جذورنا الثقافية والتوبية معاً ، وإن

ثانياً: دراساتٌ تعرّيفيَّةٌ ومعجميَّةٌ

الصفحة

- | | | |
|-----|----------------------------|--|
| 137 | عبد العزيز بنعبد الله | 1 - وحدة المصطلح المالكي في القانون والاقتصاد |
| 151 | د. جابر الشكري | 2 - المصطلح الكيميائي في التراث العربي |
| 163 | د. ابتسام مرهون الصفار | 3 - الانفاظ العربية بين المعنى النظري والدلالة
الفكريّة والاجتماعية |
| 177 | د. محمود محمد الحبيب | 4 - عملية التصرير : الاساليب والمشاكل والحلول |
| 194 | د. خليل ابراهيم العطية | 5 - البنديجي ومصمه « التقيية في اللغة » |
| 203 | مجمع اللغة العربية الاردنى | 6 - تصرير رموز وحدات النظام الدولي |
| 209 | سليم طه التكريتي | 7 - اللغة العربية ومصطلحات الحضارة الراهنة |
| 212 | احسان محمد جعفر | 8 - تعليق على لفظة حضارية (الاستطراب) |

وَحْدَةُ المَصْطَلِحِ الْمَالِكِيِّ فِي الْقَانُونِ وَالْإِقْنَاصِ

بَيْنَ شَقِيِّ الْفُرُوبَةِ

لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ (الْغَزِيزِ) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

اًن نماذج لما اختص به هذا المذهب من اختيارات في تصايا مختلفة كالتوازل والوثائق والفتاوی ، ونستهدف بذلك استخلاص مصطلحات أصلية ، ظلت أزيد من الف عام قوام الوحدة اللغوية بين الشرق والغرب ، عملنا على ادراجها في معجمنا الحديث حول الفتنة والقانون (٣).

وقد عززنا هذا البحث بمصادر مخطفة ، يمكن أن يرجع إليها الباحثون في الساتيرات والنفيات مما ، أشرنا إلى المطبوع منها وكذلك المخطوط مع بيان المكتبات العالمية التي تتوفر فيها دون اغفال الارتفاع والمصادر .

اذا تتبعنا المسار الذي نهجه المذهب المالكي بين المغرب الاقصى والخليج العربي ، مارا بالتشاد والسودان ويحرر القلزم واليمين الى البصرة ، لاحظنا مظاهر مختلفة للوحدة الفكرية في مجال التائرون والاقتصاد من خلال وحدة المصطلح في الفقه المالكي . وقد ألقينا منذ سنوات محاضرة في (أبوظبي) ، بدعوة من (الديوان الاميري) ، حاولنا ان نبرز فيها الاسباب والظروف التي حدت الى ترسیص الوحدة بين الخليج والمحيط (١) . وقد سبق لنا ان نشرنا معجمًا للفقه المالكي (عرب - فرنسي) ابرزنا فيه خصائص المصطلح الناهي في شتى المجالات (٢) . ونعطي

*1 راجع المدد 15 ، ج 1 ، ص (211)

*2 راجع المدد 16 ، ج 2 ، ص (399)

*3 الذي اصدرنا منه لحد الان الجزء الاول (في اربعة حروف من (A) الى (D))
ويطلقه ترسيما الجزء الثاني الى حرف (G)

المضاء :

منصب نبئ من متعلقاته الشورى وكان في كل عاصمة ولدية قاض لنجماعة في عهد الموحدين وهو يتولى اختبار نوابه في مناصب التضاد المحلية وكان الخليفة الموحدي يعين قضاة الجماعة دون تدخل الولاية في كل من المغرب والأندلس وكان قضاة الأندلس أنثنيين في الغالب (1) .

وكان القضاة يتعطل مع العدل وانصات الناس فتد مكث عمر بن الخطاب على القضاة طوال عهد أبي بكر الصديق ومكث سنة لا ياتيه رجال (2) ولكن عادة الموحدين عندما كان ملکهم مرسوطا على تونس انهم لا يولون القضاة اكثر من عامين عملا بوصية عمر بن الخطاب نفسه (3) . وذكر الأنبياء في شرح مسلم انه حين كانت قاعدة مملكة الموحدين مراكش كان القضاة انما يأتون لتونس منها (4) في حين كان قضاة المغرب يختارون من سوس أيام السعديين (5) . وخطبة القضاة هي اعظم الخطط بالأندلس لتعلقها بأمور الدين وكون السلطان نفسه لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي وذلك في المدن الكبيرة ، أما في المغيري فالحاكم الشرعي فيها هو المسدد، وتقضى القضاة كان يسمى أيضا قاضي الجماعة (6) .

وكان عدد القضاة نحوا من خمسة عشر نس مجموع المغرب وكان في كل من فاس ومرراكش ثلاثة قضاة ولم يكن في القبائل سوى نواب عن القضاة أما في الجبال فان العرف هو السادس عدا تحكيم الشرع احيانا ولم يكن اختصاصهم يتجاوز الاحوال الشخصية والالتزامات الناجمة عن الجنح المدروية مع رعاية اموال اليتامي ومراقبة العدول ورجال التوثيق والعلماء والاشراف ورجال الدين ووكلاء الفقيه والمشرفين على المواريث (بومواريث) ونظار الاجسام والمسجد . وكان قاضي السماط بفاس يشرف على

- (7) (ثئب الطيب ج 1 ص 338)
- (8) (صبع الاعشى ج 5 ص 451)
- (9) (البرد المؤنس ص 7)
- (10) (مشيخة عيلان)
- (11) (الاملام للمراكشى ج 5 ص 123)

- (1) البيان المغرب ق 3 ص 129 و 231
- (2) ابن الاثير ج 2 ص 161
- (3) (تاريخ الدولتين ص 44)
- (4) الاعلام للمراكشى (طبعة 1974) ج 1 ص 68
- (5) تاريخ الدولة السعدية ص 25
- (6) (ثئب الطيب ج 1 ص 103)

محمد بن عمر بن العياش قاضى الجماعة بمراكنش استقضاه المولى سليمان بسجلماسة وهو ابن خمس وعشرين سنة (18) .

اما الاستثنىات فقد كان في عهد الحماية نوعين : ابتدائى لاحكام تفاة البوادى وما في حكمها من احكام قضاء مغاربة المدن ويكون عند قاضى المدينة بمنطقته المعينة في ظهير تنظيم « العدلية » خاصة في مكناس والرباط والدار البيضاء او عند احد قضاتها إن تعدد كما في تفاة ناس ومراكنش .

والنوع الثانى وهو النهاىى ثالثيس مجلس شرعي أعلى بابلاط الملكي يتربك من رئيس واربعة اعضاء من العلماء وثلاثة نواب وستة كتاب وثلاثة خدمة وهو يتلقى استثنىات احكام قضاء توارعه المدن .

وكان القضاة يحظى بتقىة الشعب لحسن الاختدلة فقد حدث (جان موكي) في رحلته الى المغرب (1601 - 1607) عن تفاة المغرب نوسمه سرعة وعدالة البسطرة للتفضية عندهم (19) .

كما ذكر (لويفيك) Ludovic de campou (20) ان كل نخدة من القبائل الغربية كانت تشتمل على مکثر يستخدم كمسجد ومکان آخر لتحفيظ القرآن وقاضى صدر الاحکام .

ومن المصنفات التي صدرت في الموضوع :

- (تبصرة الحكام في اصول الأقضية ومناجح الاحکام) لابن فرحون ابراهيم بن علي اليعمرى (مكتبة طوان 1405) : ثلاث نسخ .
- (جمهرة من حكم بناس وتفى في الدولة العلوية وجرى به القضا) (رجز في 300 بيت) ، لابن القاسم الزيتى . نسخة بالخزانة الفاسية والمكتبة الاحمدية السوادية بناس وخمسمائة وسبعين .

السلطان ليصدر امره بالتعيين ، من ذلك ظهير صدر عام 1294هـ / 1877 م اعتمد على تقيد لاختبار عمال دكالة وقضائهم واشياخهم (12) .

وقد لاحظ المولى اسماعيل جهل الكثير من رجال القضاة ثالر بجهنم بعضهم ، من امتحناه فتاكده جهلهم ، ومسجنهم في مشور فاس الجديد حتى تعلموا ضروريات الاحکام وعزل الكثير منهم ، وقد اثار القاري في (الازهار الندية) الى هذا الحادث الذي حصره العلامة اكتوس في تفاة البوادى (13) .

وكان ثلاثة تفاة يتناوبون على الرباط ، لكل واحد ثلاثة اشهر ، وهم القضاة محمد بن احمد الغربى وعبد الله بناني ومحمد بن اليسع (14) ، وعندما ترجم ابن القاضى في درة الحال (15) لأحمد بن محمد الطرون الفاسى ذكر انه كان قاضيا بفاس وانه لم يكن من اهل العلم وإنما ولی لاتهم كاتسا بولون القضاة من يكون عليا وان لم يكن ذا علم ليكتب بما له عن اموال الناس وعن الرشا وقد تونى هذا القاضى المتمول سنة 961 هـ / 1553 م . وكانت مجالات القضاة واصنافه مختلفة منها تفاة العساكر حيث كان ابراهيم بن يحيى قاضى العساكر في عهد ابن الحسن المرینى ، كما كان محمد بن ابى عامر قاضى تفاة في المغرب وناظر العساكر (16) . وقد عمل تفاة مغاربة على التوالى بال المغرب والتدخل من بينهم على بن عبد الله بن محمد الفاسى الذى مثل قاضيا بشاطبة الى 622 هـ / 1225 ثم انتقل الى مراكنش وحضر مجلس ابن القطان ثم استقضى بشرش وجيان وقرطبة وسبتا وفاس ثم اغاث وريكة ثم تولى قضاة النساء بمراكنش وحفظ عن ظهر قلب صحيح البخارى (17) . وقد استقضى الشنبى عمر بن فناس وهو ابن عشرين سنة ، وكذلك القمي عمر بن محمد بن حم بركى الدمناتى الذى استقضى بتصبة مراكنش وهو ابن عشرين سنة ايضا ، ومحمد السعید بن

(12) العز والصولة لابن زيدان ج 2 من 8

(13) الاستقسا ج 4 من 31 .

(14) اتحاف اعلم الناس ج 3 بعد من 305

(15) ج 1 من 89

(16) ابن مزارى ج 2 من 376

(17) الاعلام للمراكنشى ج 6 من 2 (ب)

(18) الاعلام للمراكنشى ج 7 من 5 - ط الرباط

(19) س 1 - السعیديون ج 2 من 400

(20) فكتابه « المغرب . المعاصر امبراطورية تونا . 1 من 114 .

تاریخ القضاة بشمال المغرب على عهد الحماية
 (الحسن بن عبد الوهاب) . مجلة البحث
 العلمي - عدد 9 (1966)
 القضاة والعدل بال المغرب (تاریخ طوان ج 1
 ص 137) .
 J. Caillé - Organisation judiciaire et procédure
 marocaines - Libr. gén. de droit et de juris.
 1948 (459 p.)

- القضاة في جنوب المغرب R. Montagne, 1924.

الأفتاء:

ظهرت خطة الفتوى بالمغرب في عهد محمد الشيخ السعدي اقتباسا من الاتراك وقد تقلد منصب الفتوى بفاس في عهد محمد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني نزيل فاس كما تقلدتها بمراكنش أيام عبد الله الفالب محمد شقرنون بن هبة الله الوجبي التلمساني (الدودة من 90 و 86) وكان يعتذر من أسمى الوظائف لا يرخص فيه إلا لذوي العروءة والدين ومن « طرا عليه أو ظهر منه ما يخالف ذلك ينزل ويضرب على يده وربما عوقب ونكل به » .

(راجع نصوص ظهائر في الموضوع في (المز والرسالة) لابن زيدان ج 2 من 55 حيث أمر المولى عبد الرحمن مثلا برقع يد المفتين عن الفتوى بطنجة نظرا لنساد الأحكام والتلبيس على العامة وذلك في 25 رمضان 1274 هـ) .

وكان (مجلس المفتين) بالمغرب يعمل تارة كمحكمة عليا للنقض والابرام وأخرى كهيئة استئنافية، وهذا المجلس يجمعه السلطان عند الحاجة للنظر في قضية تقديرها قبل احالتها على محكمة جديدة . وكان السلطان يصدر الأحكام مرة في الشهر ويلتقي طليعت الاستئناف ويتقاضى أمامه الإجابات أكثر من رعاياه وأول تماض بعد السلطان هو المفتى الذي يتلقى طلبات الاستئناف وكان هنالك ثلاثة مفتين بمراكنش

- (تمكيل قضاء فاس على ما في جنوة الاقتباس) (الخزانة الملكية = خم 4792) .
- « جواب في الفرق بين خطة القضاء وخطبة الولاية وخطبة الحسية باعتبار عرف زماننا لأحمد بن خالد الناصري (الخزانة العامة بالبرياط (خ) 2295 د (م = 6 - 8) .
- (آفاق الشموس واعلاق الفتوس في الاتقنية النبوية) لأحمد بن عبد الصمد الخزرجي النامي .
- (الأحكام من آي خير الأيام) للحسن بن علي بن القطان . جمعه يامر السلطان عمر المرتضى الموحدي . خزانة القرويين (خ) ل 292/40 .
- (منظومة في أدب القضاة وبيان صنعة القضاة) (272 بيتا) اسمها (حدائق القضاة) (خ 1862 د) (م = 1 - 6) للعربي بن عبد الله المستاري رئيس البحر في عهد سيدى محمد بن عبد الله .
- قضاة ركب الحجيج . تقد يوسف البريني الفقيه محمد بن زغبوش قضاة ركب الحجيج عام 703 هـ / 1303 م (21) .
- (المذهب الرائق في تبيير الناشيء من القضاة وأهل الوثائق). المتحف البريطاني (عدد 242) . تلادة التسجيلات والمقود وتصرف القاضي والشهود كلها لموسى بن عيسى المغليسي (791 هـ / 1389 م) .
- اصلاح القضاة بالمغرب أيام السلطان سيدى محمد بن عبد الله « حصول المسرة والأنس في بيان مدارك النصوص الخمس » . خ 330 د (م = 103 - 124) . دراسات مغربية : عن تاريخ القضاة بالمغرب (عبد الله الجراوي) . مجلة دعوة الحق - عدد 1 (1965) .

21) (تاريخ ابن خلدون ج 7 من 226) .

- المفتى أبو بكر بن مسعود المراكشى شيخ المالكية بدمشق (1032 هـ / 1622 م) .
- ابن علي أبو القاسم الحساتي البطري المفتى (956 هـ / 1549 م) (الجنة من 319) .
- المفتى أحمد بن الحاج العباس الشرايسى (1329 هـ / 1911 م) .
- احمد بن ابى مالك عبد الواحد بن احمد السجلماسى مفتى مراكش (الاعلام للمراكشى ج 2 ص 44) .
- احمد بن علي البالمى مفتى مراكش (احمد بن محمد بن علی حسب الحضبى) .
- المفتى احمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب قاضى جبل طارق ومشاور الدولة (779 هـ / 1377 م) - له فتاوى مدونة فى (معيار الونتريسى) .
- احمد بن القاضى التمسانى شاعر الرباط ومتوفيه (توفي حوالي 1180 هـ / 1766 م) ، (الاغبات ج 1 ص 20) .
- مفتى ناس احمد بن محمد بن احمد بن يحيى المقرى نزيل ناس والقاھرة (1041 هـ / 1632 م) وهو صاحب (نفع الطيب) لـه فتاوى نقلها صاحب (المعيار) .
- المفتى احمد بن يحيى الونتريسى الناسى (914 هـ / 1508 م) له (المعيار المغارب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيا والأندلس والمغرب) طبع على الحجر بفاس عام 1315 . خ 400 د (5 مجلدات) .
- المفتى الحسن بن احمد بن عبد الرحمن المزميري .

وناس وتارودانت (1) . وقد شملت عنابة ملوكياناً الملوين الأمجاد رجالات الافتاء في كافة أنحاء العالم الإسلامي وخاصة في الحرمين الشريفين ، فقد حبس السلطان سيدى محمد بن عبد الله أموا والأطائفة على مفتى المذاهب الاربعة وطلبتهم بالدينتن المنسورة كما حبس مالاً عظيماً على قراء الفتوحات الالهية والجامع الصحيح من أهل المذاهب الاربعة بالمدينة المنورة (2) . وقد كان لكل حاضرة أو اقليم رجل افتاء . فالسعديون لم يتاثروا بالنظام التركى عندما نصبوا مفتياً على ناس هو العلامة محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوى التمسانى (3) . وكان المفتى يتلقى الاستئلة والاستفسارات والاستيضاحات في القضايا الفقهية من مجموع البلاد ، مثل ذلك الفتى محمد بن ابراهيم السادس الحاجى رئيس قلم الفتوى بمراکش الذى كانت ترد عليه الاستئلة من كافة أنحاء المغرب فيجيب عنها بما يغير العقول بسدون تسويد لكثرة تحصيله واستحضاره ولا يبقى عنده منها نسخة ، ولو جمعت فتاوياه لأربت على (نوازل المعيار) ، كان يقول (نحن رجال وهم رجال (4)) . ولمحمد الأغالى (القواعد التي يجب على المفتى العمل بمقتضاهما) (307 من الآيات) خ 1242 د.

وكذلك (ارجوزة فيما يجب به الفتوى وما يعتمد من الكتب) لحمد النابية الشنجيطى ، المطبعة الملكية بفاس (1282 هـ / 1865 م) .

ومن تصدر للافتاء بال المغرب العلماء : ابراهيم ابن عبد الملك الضرير السوسى ، كان خرازا (1316 هـ / 1898 م) .

- مفتى سجلماسة ابراهيم بن هلال بن علي الصنهاجى المشترائي (903 هـ / 1497 م) .

- ابراهيم السرغيني الخلوى .

(1) في رحلة R.O.C. (م. 1 - السعديون -

(2) الاعلام للمراكشى ج 7 من 193 . الرباط .

(3) الدوحة من 90)

(4) بالنسبة لعام 1609 .

(2) (الاتحاف ج 3 من 233)